263 - ـ فصل : البعد عمن كان همه الدنيا .

هيهات أن يجتمع الهم مع التلبس بأمور الدنيا خصوصا الشاب الفقير الذي قد ألف الفقر .

فإنه إذا تزوج و ليس له شيء من الدنيا إهتم بالكسب أو بالطلب من الناس فتشتت همته و جاءه الأولاد فزاد الأمر عليه و لا يزال يرخص لنفسه فيما يحصل إلى أن يتلبس بالحرام .

و من يفكر فهمته ما يأكل و ما يأكله أهله ما ترضى به الزوجة من النفقة و الكسوة و ليس له ذلك فأي قلب يحضر له ؟ و أي هم يجتمع ؟ هيهات .

و ا لا يجتمع الهم و العين تنظر إلى الناس و السمع يسمع حديثهم و اللسان يخاطبهم و القلب متوزع في تحصيل ما لا بد منه .

فإن قال قائل : فكيف أصنع ؟ .

قلت : إن وجدت ما يكفيك من الدنيا أو معيشة تكفك فاقنع بها و إنفرد في خلوة عن الخلق مهما قدرت و إن تزوجت فبفقيرة تقنع باليسير و تصبر أنت على صورتها و فقرها و لا تترك نفسك تطمح إلى من تحتاج إلى فضل نفقته .

فإن رزقت إمرأة صالحة جمعت همك فذاك و إن لم تقدر فمعالجة الصبر أصلح لك من المخاطرة .

و إياك و المستحسنات فإن صاحبهن إذا سلم كعابد صنم و إذا حصل بيدك شيء فأنفق بعض فبحفظ الباقي تحفظ شتات قلبك .

و إحذر كل الحذر من هذا الزمان و أهله فما بقي مواس و لا مؤثر و لا من يهتم لسد خلة و لا من لو سئل أعطى إلا أن يعطي نذرا بتضجر .

و منة يستعبد بها المعطى بقية العمر و يستثقله كلما رآه أو يستدعي بها خدمته له و التردد إليه .

و إنما كان في الزمان الماضي مثل أبي عمرو بن نجيد سمع أبا عثمان المغربي يقول يوما على المنبر : علي ألف دينار و قد ضاق صدري .

فمضى أبو عمرو إليه في الليل بألف دينار و قال إقض دينك .

فلما عاد و صعد المنبر قال : نشكر ا لأبي عمرو فإنه أراح قلبي و قضى ديني .

فقام أبو عمرو فقال : أيها الشيخ ذلك المال كان لوالدتي و قد شق عليها ما فعلت فإن رأيت أن تتقدم برده فإفعل .

فلما كان في الليل عاد إليه و قال له : لماذا شهرتني بين الناس ؟ .

فأنا ما فعلت لأجل الخلق فخذه و لا تذكرني : .

(ماتوا و غيب في التراب شخوصهم ... و النشر مسك و العظام رميم) .

فالبعد البعد عن من همته الدنيا فإن زادهم اليوم إلى أن يحصل أقرب منه إلى أن يؤثر .

و لا تكاد ترى إلا عدوا في الباطن صديقا في الظاهر شامتا على الضر حسودا على النعمة .

فاشتر العزلة بما بيعت فإن من له قلب إذا مشى في الأسواق و عاد إلى منزله تغير قلبه .

فكيف إن عرقله بالميل إلى أسباب الدنيا و اجتهد في جمع الهم بالبعد عن الخلق ليخلو القلب بالتفكر في المآب و تتلمح عين البصيرة خيم الرحيل ؟